

في حدائق العرب

ظهر في الشهر الغابر كتابٌ عنوانه « حديقة الزهر » وضعه باللغة الفرنسية
حضرة الأديب واصف بك بطرس غالي، ضمنه بحثاً شائقاً في الشعر العربي وأنواعه
وأسابيه، مع ترجمة مقطوعاتٍ شعرية منه. فقابل الفرنج هذا الكتاب بالارتياح لأنه
عرفهم بشاعرية قوم لهم في عالم الخيال المقام الارفع. ومن جملة ما ترجمه واصف بك
الحادثة الآتية تروى بها لقراءتنا في أصلها العربي، لما فيها من بلاغة الوصف وجمال الأسلوب:

بشر بن أبي عوانة والأسد

كان بشر بن أبي عوانة العبدي صعلوكاً، فأغار على ركب فيهم
امرأة جميلة، فتزوج بها، وقال: ما رأيتُ كالיום. فقالت:

أعجب بشراً حوراً في عيني وساعدتُ أيضاً كالحجينِ
ودونه مسرحُ طرف العينِ خصانةٌ ترفلُ في حجلينِ
أحسن من يمشي على رجلينِ لو ضمَّ بشرٌ بينها وبينِي
أطال هجري وأدام بيني ولو يقيس زينها بزيني
لأسفر الصبحُ لذي عينينِ

قال بشر: ويحك من عنيت؟ فقالت: بنت عمك فاطمة. فقال:
أهي من الحسن بحيث وصفت؟ قالت: وأكثر وأزيد، فأنشأ يقول:

ويحك يا ذات الشايا البيضِ ما خلّني عنك بمستعيضِ
فالآن إذ لوحتِ بالتعريضِ خلوتِ جواً قاصفري ويضي
لا ضمَّ جفناي على تغميضِ إن لم أشل عرضي من الحضيضِ

ثم أرسل الى عمه يخطب ابنته ، ومنعه العم أمينته ، فألى الأيرعي على أحد منهم ، إن لم يزوجه ابنته . ثم كثرت مضراته فيهم ، واتصلت مضراته اليهم . فاجتمع رجال الحي الى عمه وقالوا : كف عنا مجنونك . فقال : لا تلبسوني عاراً ، وأهلوني حتى أهلكه ببعض الحيل . فقالوا : أنت وذاك . ثم قال له عمه : اني آليت أن لا أزوج ابنتي هذه إلا من يسوق اليها الف ناقة مهراً ، ولا أرضاها إلا من نوق خزاعة . وغرض العم كان أن يسلك « بشر » الطريق بينه وبين خزاعه ، فيفترسه الأسد . لأن العرب قد كانت تحامت عن ذلك الطريق ؛ وكان فيه أسد يسمى داذاً ، وحية تدعى شجاعاً ، يقول فيهما قائلم :

اقتك من داذومن شجاع ان يك داذ سيد السباع
فانها سيده الاقاعي

ثم إن بشراً سلك ذلك الطريق ، فما نصفه ، حتى لقي الأسد . وقص مهره ، فنزل وعقره . ثم اخترط سيفه الى الأسد ، واعترضه وقطعه ، ثم كتب بدم الأسد على قميصه الى ابنة عمه قصيدته المشهورة التي مطلعها أفاطم ، لو شهدت بيضن خبت وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا فلما بلغت الأيات عمه ، ندم على ما منعه من تزويجها ، وخشي أن تغتاله الحية ، فقام في أثره وبلغه وقد ملكته سورة الحية . فلما رأى عمه ، أخذته حية الجاهلية ، فجعل يده في فم الحية ، وحكم سيفه فيها فقال :

بشرالى المجد بعيدهم لما رآه بالراء عمه
قد شكته نفسه وامه جاشت بهجاشة نهمه

قام الى ابن للفلا يؤمه فغاب فيه يده وكمه

ونفسه نفسي وسي سمه

فلما قتل الحية، قال عمه : اني عرضتك طمعاً في أمر نبي الله عناني عنه، فارجع لا تزوجك ابنتي . فلما رجع جعل بشر يملأ فمه نخراً، حتى طلع أمرد كشق القمر على فرسه مدججاً في سلاحه . فقال بشر : يا عم اني اسمع حساً صيد . وخرج فاذا بسلام على قيدي فقال : شكلك أمك يا بشر، إن قتلت دودة وبهيمة تملأ ماضغيك نخراً؟ أنت في أمان ان سلّمت عمك . فقال بشر : من أنت لا أم لك؟ قال : اليوم الاسود، والموت الأحمر . فقال بشر : شكلك من سلحتك « قذفت بك من بطنها » فقال : يا بشر ومن سلحتك أيضاً . وكرّ كل واحدٍ منهما على صاحبه، فلم يتمكن بشر منه وأمكن الغلام عشرين طعنةً في كلية بشر، كلما مسه شبا السنان حماء عن بدنه ابقاءً عليه . ثم قال : يا بشر كيف ترى أليس لو أردت لأطعمتك أنياب الرمح؟

ثم التقى رمحه واستل سيفه فضرب بشراً عشرين ضربة بعرض السيف، ولم يتمكن بشر من واحدة . ثم قال : يا بشر سلّم عمك واذهب في أمان . قال : نعم ولكن بشرطة أن تقول لي من أنت . قال : أنا ابنك . فقال : يا سبحان الله ما قارنت عقيلة قط، فأنى لي هذه المنحة؟ فقال : أنا ابن المرأة التي دلتك على ابنة عمك . فقال بشر :

تلك العصا من هذه العصية هل تلد الحية غير الحية

وحلف لا ركب حصاناً ولا تزوج حصاناً، ثم زوج ابنة عمه لابنه